الافكار . لذلك، ثبت في الفصول الاولى، انه لا يمكن التغاضي عن اهمية ادب الاطفال ووظيفته الحيوية والهامة في تكوين وجهة نظر وتوجّه الولد / القارىء وطريقة معاملته للعربي. لذا، فان هناك اهمية خاصة لادب الاطفال، لأنه يخلق حوافز اللقاء والحوار والتقارب: «لكنه من الممكن ان يخدم عكس ما سبق (وهذا هو الوضع القائم)، وذلك بالانغلاق والابعاد والتعميم والعدائية والاغتراب الستيريوتيبي».

ولا يخفي كوهين حقيقة الوضع القائم، بل يتبنّى مواقف حازمة تجاه خلاصة بحثه الذي توصّل فيه الى ان «التوجه المستعرق (مؤمن بأن عرقه اسمى من سائر الاعراق) طاغٍ ، وعلاقات الكراهية مؤكدة، وما زالت اجواء انغلاق وتوحّد قومي واستعلاء وشك وعدائية تجاه العرب تسيطر على قسم كبير من الكتب».

واستخلص كوهين النتيجة الاخيرة، وهي ان في «قلب الصورة الجماعية للعرب التي يصوّرها ادب الاطفال العبري، امامنا، تنمو زهور نضرة ايضاً. لكن الاشواك كثيرة، وكثيرة جداً، والزهور مخفية في دغل الاشواك القاتلة التي تحيط بها حتى الاختناق».

ان كوهـين، ومن موقع الاكاديمي الانساني وكاتب قصص الاطفال يكتب بحثاً شائقاً ومتميزاً في طرحه لقضايا تجمل ما يلي: ان في امكان الاسرائيلي ان يكون واقعياً مع نفسه؛ وان الكتابات العنصرية والسامة التي يكتبها الكتّاب العبريون، ما هي الا ذر للرماد على الحقائق، وعلى سبل التعايش؛ وان المواقف العدائية تجاه العرب اصبحت متجذرة عميقاً في نفوس الاسرائيليين، وبضمنهم ـ وهذا هو الخطر ـ الاطفال، الذين لم يشاركوا في حروب، او في مناقشات ومناظرات، بل كانت وجهات نظرهم تتبلور، على نحو تدريجي، بناء على ما تستقيه من معلومات وادبيات اجهزة التعليم المسمّمة وكتب المطالعة الاخرى والتلفزيون.

وبناء على بحث تجريبي اجراه كوهين على طلاب مدرسة يهودية في حيفا، تبيّن ان «حوالى نسبة ٨٠ بالمئة من المشتركين في البحث يصفون العربي بـ ' يعيش في الصحراء ' ، ' غير متحضر ' ، ' يلبس الكوفية ' ، ' راعي غنم ' ، ' وجه يهدّد ' ، ' ذو ندبة ' ، ' وسخ ' ، وأشياء اخرى من هذا القبيل». وهنالك ٩٠ بالمئة من الطلاب ينفون حق العرب في البلاد، ويرفضون فكرة التعايش والتعاون معهم. ويرسّخ كوهين معنى الدور البارز للادب في حياة الاطفال، وكيفية بناء الافكار والتطورات الناجمة عن قراءات الاولاد والاطفال؛ اذ ان ٥٨ بالمئة من الاولاد الذين تعاونوا مع الباحث، في بحثه التجريبي، سجّلوا ان كتب الاطفال التي كانوا قرأوها واثّرت فيهم وفي تكوين صورة العربي في اذهانهم («العربي لص، غدار، سفّاح، ذو انف اعوج، له ذيل، لا يحب السلام، خاطف اطفال، لا يؤتمن له جانب، متخلّف وهمجي»). وكانت تلك الاوصاف والصور التي سجّلها الاولاد في البحث نتيجة طبيعية لتلك القراءات وللصور التي اندمغت في الذاكرة ولم تمح، الا في حالات قليلة جداً.

نتيجـة للكتب العنصرية ولمواقف كتّاب ادب الاطفال العبريين، ووسائل الاعلام، وكتب التعليم، تشوّهت صورة العـربي في نظر الاسرائيـلي الناشىء، الذي يتغذى، يومياً، بافرازات سياسية صهيونية عنصرية. ولقد استطاع هذا الكتاب ان يبيّن الامور بوضوح، وان يدعمها بحقائق ادبية وميدانية، لتقيم الدليل على ان المرآة الاسرائيلية حافلة بالوجوه البشعة، وان مختلف الادبيات تؤثر في الطفل وفي تكوين السيتريوتيب عنده؛ وان الوجه الاسرائيلي، نتيجة لتصويره العربي على هذا النحو في أدب الاطفال، بات بشعاً ومؤذياً؛ لذلك أشار كوهين، في اكثر من صفحة من صفحات الكتاب، الى ضرورة الالتفات الى هذا الموضوع الهام، الذي لم يطرحه احد من قبله بمثل هذا العمق والجدية والشمول، لمعالجته معالجة علمية نزيهة.

وفي النهاية، تجدر الاشارة الى أهمية هذا الكتاب وضرورة نقله الى اللغة العربية للتعرف على حقيقة أدب الاطفـال العبـري، وللاطلاع على الاقتباسات واسماء الكتّاب الكثيرين، وللوقوف على ذلك الحشد الهائل من تلخيص قصص عنصريـة، وما ورد فيها من اوصاف ونعوت عنصرية أُلصقت بالعربي، على الرغم من حقيقة الصفات المناقضة لها، التي يتحلى بها العربي في الواقع.

رياض بيدس